

غَزْوَةُ أُحُدٍ



قسم المتون العلمية بالمسجد النبوي
لطلب الكميات والتوزيع 0553002305

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

❖ سببُ غزوةِ أُحد:

بعثَ اللَّهُ نبيَّنا محمَّداً ﷺ على حينِ فترةٍ من الرُّسل، والحياةُ مليئةٌ بظلماءِ جهالاتها، ودهماء ضلالاتها، فأخذ النبيُّ ﷺ ومعه صحبٌ كرامٌ بنشر هذا الدين في الآفاق، وتصدَّى أهل الكفر والعناد لدعوته، وأشهروا الأسياف لمقابلته، فالتقوا في بدر، وتحقق النصر بعون اللَّه، فارتفعت راية الإسلام، وعاد المشركون إلى مكة بالثُّبور، كلٌّ يبكي قتلاه ويشكي بلواه، وعَظُم عليهم المصاب، فعزمت قريش على إعداد العدّة لملاقاة المسلمين، وأَمْضَوْا عاماً كاملاً في الاستعداد، فاجتمع جَمْعُهم.

❖ زمنُها:

واتَّجه جيشُهم إلى المدينة النَّبويَّة في شوال من السَّنةِ الثَّالثة؛ ليأخذوا بثَأْرِهم في يومِ بدر.

❖ مكانُها:

ونزلوا عند جبلِ أحد ـ شمال المدينة المنوّرة ـ على شفيرِ الوادي، وكان رجالٌ من المسلمين ندِمُوا على ما فاتهم

من مشهد بدر، فأشاروا على النَّبيِّ ﷺ بالخروج لملاقاتهم، وعزم المسلمون على الخروج إليهم.

وبعد أن صلَّى النَّبيُّ ﷺ بالناس يومَ الجمعة دخل بيته، وخرج متهيّئاً للقتال، لابساً لَأْمَةَ الحرب، وقال: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ لَبِسَ لَأْمَتَهُ ـ أي: دِرْعَهُ ـ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ» رواه أحمد.

❖ خيانة المنافقين:

ثمَّ خرجَ في ألفٍ من الرّجال، فلما كانوا بين المدينةِ وأُحد، انْخَذَلَ عنه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيّ ـ رأسُ النِّفاق ـ بثلثِ الجيش، فتركهم رسول اللَّه ﷺ ومضى حتى نزل الشِّعب من أحد، في عُدْوَة الوادي إلى الجبل، وجعل ظهرَه وعسكرَه إلى أحد، فصار جيش المشركين فاصلاً بين المسلمين وبين المدينة.

❖ صغار الصَّحابة:

فلما كان صبيحة يوم السبت، تعبَّى ﷺ للقتال، وظَاهَرَ بين درعين، واستعرض الشباب، وردّ من استصغره عن القتال، وأجاز آخرين، وكان ممن أجاز سمرةَ بن جندب ورافعَ بن خديج رضي الله عنهما ولهما خمس عشرة سنة.

❖ عدد المشركين:

واستعدت قريشٌ أيضاً للقتال، المشركون قِوامهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم مئتا فارسٍ، يقودهم أبو سفيان، يريدون إطفاءَ نور اللَّه، وإضلالَ العباد.

❖ عدد المسلمين:

والمسلمون سبع مئة رجل، يبتغون النّصر أو الشّهادة، وحرّض النَّبيُّ ﷺ أصحابه على القتال، وحضَّهم على الصَّبر والمجالدة، وجعل على جبل الرُّماة خمسين رجلاً، أمّر عليهم عبد اللَّه بن جبير رضي الله عنه، وأَمَرَهم أن يلزَموا مكانَهم، وألَّا يُفَارِقُوه ولو رأوا الطَّيرَ تَخْطَفُهُم، وقال: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» رواه البخاري.

❖ بدايةُ المعركة:

وتقابل الجيشان، وتقارب الجمعان، وأصبحت السُّيوف مُصْلَتة، والرِّماح مبرزة، والسِّهام منتثرة، ثم أَذِن النَّبيُّ ﷺ بالقتال، ودنا بعضهم من بعض، وتلاحم الفرسان، وحَمِيَ الوطيس، وكانت الدُّوْلة للمسلمين، وأنزل اللَّه نصره على المؤمنين، وانكشف المشركون، وسقط لواؤهم، وولَّوا مدبرين.

❖ سببُ هزيمةِ المسلمين:

فلما رأى الرُّماة هزيمتَهم، ظنُّوا أنه ليس للمشركين رجعة، فنزل مَنْ نزل منهم في طلب الغنيمة، وتركوا مكانهم الذي أمرهم رسول اللَّه ﷺ بحفظه، وذكَّرهم أميرهم بلزومه، فنزلوا وخلى الثَّغر، فالتفَّ خالد بن

الوليد ـ وهو على الشِّرك يومئذ ـ مِنْ وراءِ جبلِ الرُّماة، فقتل العشرة الباقين من الرماة الذين على الجبل، وأصبح جيش المسلمين بين خيَّالة المشركين من الخلف، وبين مُشَاتِهِم من الأمام، وأحاطوا بالمسلمين، وانهزمت طائفة من المسلمين، وتفرق سائرهم، ووقع القتل فيهم ـ رضي اللَّه عنهم وأرضاهم ـ، وثاب المشركون إلى رايتهم، واضطربت صفوف المسلمين، فكان ما أراد اللَّه كونَه، فأَكرمَ مَنْ أكرمَ بالشَّهادة.

❖ محاولةُ قتلِ النَّبيِّ ﷺ :

وثَبَتَ النَّبيُّ ﷺ حين انكشَفُوا عنه، وهو يدعُوهم في أخراهم حتى رجع إليه بعضُهم، وخَلَص المشركون إلى النَّبيِّ ﷺ يريدون قتلَه، فشجُّوا وجهَه، وكسروا رَبَاعِيَتَه بحجر، ووقعت حَلَقتان من حِلَق المِغْفَر في وجهه، وهَشَمُوا البيضَة على رأسِه ـ وهي الخوذَة التي يضعُها الفارسُ على رأسِه ـ، ورموه بالحجارة حتى وقع لشقِّه، وسقط في حفرةٍ من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق حفرها ليكيد بها المسلمين، فأخذ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد اللَّه رضي الله عنه، وقُتِل مصعب بن عمير رضي الله عنه بين يديه، وأدرك المشركون الرَّسولَ ﷺ، فحال دونَه نفرٌ من المسلمين نحوٌ من العشرة، حتى قُتِلوا جميعاً، ثم جالدهم طلحة بن عبيد اللَّه رضي الله عنه حتى أبعدهم عنه، فشُلَّت يدُه، وترَّس أبو دجانة عليه بظهره

والنِّبالُ تقعُ عليه وهو لا يتحرَّك، وقايةً لرسول اللَّه ﷺ، وصرخ الشّيطانُ بأعلى صوته: إنَّ محمَّداً قد قُتِل، ووقع ذلك في قلوبِ كثيرٍ من المسلمين، وتولى أكثرهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ .

❖ أُجْهِدَ النَّبيُّ ﷺ غايةَ الإِجْهَاد:

وأقبل الرَّسول ﷺ نحو المسلمين، فرأوه واجتمعوا به، ونهضوا معه إلى الشِّعب الذي نزل فيه، واستندوا إلى الجبل، وغسل عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه الدَّمَ عن وجهِ النَّبيِّ ﷺ، وصَبَّ ماءً على رأسِه، ولما رأت ابنتُه فاطمةُ رضي الله عنها أنَّ الماءَ لا يزيدُ الدَّمَ إلَّا كثرةً أخذتْ قطعةً من حَصِيرٍ فأحْرَقَتْها فأَلْصَقَتْهَا فاستمسك الدَّم، وأُجْهِدَ النَّبيُّ ﷺ غايةَ الإجهاد، ولمَّا أراد أن يعلوَ صخرةً هناك لم يستطع لِمَا به، فجلس طلحةُ رضي الله عنه تحتَه حتى صَعِدَها، وفَزِع النَّاس لقتلاهم، ثم نزل رسول اللَّه ﷺ فرأى الشُّهداءَ وقد مُثِّلَ بهم أقبح تمثيل، وتلمَّس عمَّه حمزةَ رضي الله عنه فوجدَه في الوادي، مبقورَ البطن، مجدوعَ الأنف والأذنين، ومال المشركون إلى رحالهم، وفي الأرض أشلاء، وأرواح تحتضر.

❖ عدد الشُّهداء:

وكان هذا كلُّه يومَ سبت، ووضعت الحربُ أوزارَها، حصادُها سبعون شهيداً من المسلمين، واثنان وعشرون هالكاً من الكافرين، قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار.

❖ أُحد نصرٌ لا هزيمة:

فأحد نصرٌ لا هزيمة، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾، معركةٌ فياضةٌ بالعبر والعِظات، أحداثها صفحاتٌ ناصعة، يتوارثها الأجيال، أنزل اللَّه فيها ستِّين آيةً في كتابِه المبين، كان لها أثرٌ عميقٌ في نَفْسِ النَّبيِّ ﷺ ظلَّ يَذْكُرُه إلى قُبَيْلِ وفاتِه.

❖ تضحيةُ الصَّحابةِ لأجلِ الدِّين:

إن هذا الدِّين وصل إلينا بعد كفاحٍ مريرٍ من الصَّحابةِ والأسلاف، ذاقوا فيه مرارة المصائب والمحن؛ أنس بن النضر رضي الله عنه يُصَابُ في هذه الغزوة ببضع وثمانين جراحة، ثم مَثَّلَ به الأعداء فلم يَعْرِفْهُ أحدٌ سوى أختِه عرفته ببنانه. وفي سعدِ بن الرَّبيع رضي الله عنه سبعون طعنة .

فللصَّحابةِ الكرامِ الصُّحبةُ والسَّبقُ والإقدام، تقطَّعت منهم الأشلاء، وتمزَّقَت الأجساد، وترمَّل النِّساء، قدَّموا أرواحَهم فداءً لهذا الدِّين، حتى وصل إلينا كاملاً متمّماً، فاقْدِرْ لهم قدرَهم، واشكُرْ لهم سعيَهم، وترضَّ عنهم فقد أحبَّهم ربُّهم ورضِيَ عنهم.

❖ شُؤْمُ المعاصي:

وبالمعاصي تدور الدَّوائر، ففاضت أرواحٌ في تلك

الغزوة بسبب خطيئة، وخرج آدم من الجنَّة بمعصية، و«دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ»، فالزم الطَّاعةَ والعبوديَّة يُؤْخَذْ بيدك في المضايق وتُفرَّجْ لك الشَّدائد، ولا تجعل أعمالَك جُنداً عليك يزدادُ بها عدوُّك قوَّةً عليك.

❖ شبابُ الصَّحابة:

في هذه المعركةِ قاتل سمرة ورافع رضي الله عنهما وهما ابنا خمسَ عشرةَ سنة.

❖ غَدْرُ المنافقين:

وتجنَّبْ صحبةَ السُّوء، فهم يخذلونك في أحوجَ ما تكون إليهم، هم في النَّعماء لك أصدقاء، ولكنَّهم في الشَّدائدِ أعداء، وقد انخذل أهل النِّفاق عن الصَّحابة في أحلك المواقف. والْزَمِ الصُّحبةَ الصَّالحة، فهم حافظون لك في الغيبِ والشَّهادة، لنفعك يَسْعَوْن وعنك يَذُودُون.

❖ النَّصرُ مع الصَّبر:

وللحقِّ جولة، وللباطل صولة، والعاقبةُ للتَّقوى، فلا تَيْأَسْ من إصلاحِ المجتمع، ولا تَقْنَطْ من هدايتِه، فَالنَّبيُّ ﷺ صبر على الأذى والجراح، حتى دخل الناس أفواجاً في دين اللَّه.

❖ كفَّارٌ أسلموا:

إنَّ عواقبَ الأمورِ كلَّها بيدِ اللَّه، فامضِ في الدَّعوة، وداوِمْ على الدُّعاء، وهدايةُ البشرِ بيدِ خالقِ البشر؛

أبو سفيان في أُحدٍ يقودُ المشركين، وشعارُه: «اُعْلُ هُبَل»، وفي فتحِ مكَّةَ يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، ووحشيٌّ يقتل حمزة رضي الله عنه ثم يُسْلِمُ ويقتلُ مدَّعي النُّبوَّة مسيلمةَ الكذَّاب. فاحذَر على نفسِكَ التَّقلُّب، فـ «الْقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»، واسأَلْه دوماً: دوام الثَّبات.

❖ توبة خالدِ بنِ الوليد:

والعبدُ وإن استغرقَ في العِصيان فالتَّوبةُ تَحُطُّ الأوزارَ وإن بلغت العنان؛ خالد بن الوليد يقودُ خيَّالة الكفر، وقُتِلَ على يديه فضلاء الصَّحابة، وبالتَّوبةِ تُغفَرُ الزَّلَّات، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: «إني أشترط أن يُغْفَرَ لي، فقال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» رواه مسلم، فأَنْقِذْ نفسَك من وَحَلِ الأوزار، وأَقْبِلْ عَلَى ربِّك بعيداً عن الآثام، فالحسناتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات.

❖ بنو عمِّ النَّبيِّ ﷺ هم الذين قاتلوه:

ولا تَسْتَنْكِفْ عن التَّمسُّك بهذا الدِّين، فحوله سَالَت الدِّماء، والمرءُ قد يُبْتَلَى بذوِي القُرْبَى والأرحام، فاصبرْ على ما تُلَاقِيه منهم، فأقارب النَّبيِّ ﷺ تَرَكُوا أوطانَهم وأموالَهم، وقَدِمُوا إلى المدينة لقتلِ النَّبيِّ ﷺ، وفعلُوا ما لم يفعلْهُ غالبُ الكفَّار ـ من تمثيلِهم بالقتلى مع أنهم بنو عمه ـ، وفي فتح مكَّة عَفَا عنهم وَصَفَح، وقال: «أَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»؛ فاتَّخذِ

النَّبيَّ ﷺ قدوةً لك في الحِلمِ والعفو، وصِلْ رحمَك، وغضَّ الطَّرفَ عمَّا يسوؤُك منهم.

❖ أهمِّية الاتِّفاق:

وفي الفُرْقَةِ والنِّزاع تُبَعْثَرُ الجهود، وفي الأُلفةِ والاتِّفاقِ صفاءُ القلوب، فاحذر من تفرُّق الكلمة والاختلاف في الرَّأي، فهما الهزيمة ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ .

❖ أحوال الدُّنيا:

ولا تأمن المعصيةَ من جانب المسرَّة، وحلاوةُ الفرحِ قد تختَلط بمرارةِ الحزن، والصَّحابةُ رضي الله عنهم فرِحُوا بالغنيمة، ونزل الرُّماةُ لجَمْعِهَا، فَلَحِقَتْهُم الهزيمة، والدُّنيا لا تدومُ على حال، فكنْ صابراً على لَأْوَائِهَا، شاكراً للَّهِ في نَعْمَائِها.

❖ الرَّسولُ ﷺ بشرٌ لا يملكُ نفعاً ولا ضَرّاً:

والأنبياءُ عبيدٌ مخلوقون، يعتريهم ما يعتري البشر، لا يُرفعون فوق منزلةِ العبوديَّة، ولا يُحَطُّ من شأنِهم، والنَّبيُّ ﷺ ظَاهَرَ بين دِرْعَيْن، ولَبِسَ لَأْمَةَ الحرب، وكَافَحَ معه الصَّحابة، وقَاتَلَ عنه جبريل وميكائيل أشدَّ القتال، ومع هذا شُجَّ في وجهه، وكُسِرَتْ رَباعِيَتُه، والأمر للَّه من قبل ومن بعد، وهو سبحانه وحده النَّافعُ الضَّار، ولو كان يملِكُ عليه الصَّلاة والسَّلام لنفسه شيئاً ما سال الدَّم منه؛ فاصرف عبادتَك للجبَّار، وتذلَّل بين يدي القهَّار، تتحقَّقْ لك ـ بإذن اللَّه ـ المسارّ.

❖ لا يجوزُ التَّبرُّكُ بجبلِ أحد:

وأحُد لا يُتَبَرَّكُ بترابه، ولا تُلتَقَطُ حَصَيَاتُه، فعنده قُتِل سبعون، وبجانبه جُرِحَ الرَّسول ﷺ، ولو كانت تغني شيئاً لما حَلَّ حولها المصاب، ففوّضْ أمرَك إلى اللَّه، والجأ إليه في كشفِ الْمُلِمَّات.

❖ وفاء الرَّسول ﷺ لصحابته:

ومن مروءات الأفعال العِرفانُ لمن خدَمَ الدِّين، ومن جميلِ الخِلَالِ الوفاءُ للأصحاب، ودِماءُ شهداء أُحد بقِيَتْ في نفس الرَّسول ﷺ إلى السَّنَةِ التي مات فيها، فصلَّى على قتلى أحدٍ بعد ثمانِ سنين، كالمودِّعِ لهم، فأجلَّ نبلاء هذا الدِّين، واحفظ ودَّ خِلَّانِك، وارْعَ حقَّ صحبتِهم، واحفظْ سرَّهم، قال أبو سفيان رحمه الله: «ما رأيتُ من النَّاس أحداً يُحِبُّ أحداً، كحبِّ أصحابِ محمَّدٍ محمَّداً».

❖ الحكمةُ من الابتلاء:

والجنَّة لا تُنَالُ إلا على جِسرٍ من المشقَّة والتَّعب، والطَّريقُ طويلٌ شاقٌّ حافلٌ بالمتاعب والعقبات، وفي الامتحان بالغلبة والانهزام ذلٌّ وخضوع، يوجب العزَّ والنَّصر، وهو سبحانه إذا أراد أن يعزَّ عبدَه كسره أولاً، ومن ثَمَّ تكون رفعتُه على قدر خضوعه وانكساره للَّه.

واللَّهُ هيَّأ لعبادِه المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلُغْهَا أعمالُهم، ولم يكونوا بَالغِيهَا إلا بالبلاء

والمحن، فقيَّضَ لهم الأسبابَ التي توصلُهم إليها من ابتلائه وامتحانه، لتمحيص السَّرائر، وكشفِ الخبايا، فَارْضَ بالمحتوم، وسلِّم لأمر اللَّه المقدور، قال بعض السلف: «لولا المصائبُ لَوَرَدْنَا الآخرةَ مفاليس».

والأيَّامُ في الحياة دُوَل، لا تبقى على حال؛ نصرٌ وهزيمة، عزٌّ وذلّة، سقمٌ وصحَّة، فقرٌ وغنى، فاغتنم فيها نعماءك ما تدَّخرُه لأُخراك، ومن آثر دنياه أضرَّ بدينه ودنياه.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين